الأساليب التعليمية في فكر الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

الدكتور حيدر جابر الموسوي
أستاذ مساعد، كلية التربية ـ قسم التربية الإسلامية ـ الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف
hydrjabr@gmail.com

Educational methods in the thought of Imam Muhammad bin Ali Al-Jawad (peace be upon him)

Dr. Haider Al Moussawi
Assistant Professor, College of Education, Department of Islamic Education,
The Islamic University of Najaf Al-Ashraf

الملخص:-

عُرِفَ الإمام الجواد عليه السلام بجملةٍ من الصفات الرَّبانية والنعوت النبوية، ولم يكن في هذا بدْعاً عن آبائه وإنما هو واحدٌ من الدوحة المحمدية فقد نهج نهْج آبائه وسار سيرتهم وقد تميز الإمام الجواد عليه السلام بمواهب وطاقات هائلة، وعبقريات ضخمة من العلم شملت جميع أنواع العلوم وشتى المعارف من فقه وعلم وكلام وحديث وفلسفة وحكم إنسانية عالية وآداب أدبية سامية. وسيحاول الباحث أن يسلط الضوء على شخصية الإمام الجواد عليه السلام ودورها في مجال الدرس والتعليم وذلك بالتطرق إلى الطرق والاساليب التدريسية التي اتبعها في حديثه ووحكمه ومناضراته. وقد اشتمل البحث على مقدمة ومباحثين:

١- المبحث الأول تناولت فيه التعريف بالأسئلة السابرة من حيث: مفهوم الأسئلة السابرة لغة واصطلاحا، وأنواعها، وصفاتها، ومزاياها، وأهدافها، وفاعليتها في التعليم، وشروط استعمالها.

٢- المبحث الثاني تناولت فيه توظيف الأسئلة السابرة عند الإمام الجواد عليه السلام في مناظراته ثم انتهى البحث بخاتمة مع جملة من الاستنتاجات والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الإمام محمد الجواد عليه السلام، الصفات الربانية، النعوت النبوية، الأساليب التعليمية، الفقه، الحديث والفلسفة.

Abstract:-

Imam al - Jawad (peace be upon him) rooms with a set of divine attributes and prophetic attributesmm, and he was not an innovation in this of his forefathers, but he is one of the Muhammedan Doha who has followed the path of his forefathers and followed their path All kinds of sciences and various know ledges of jurisprudence, science, speech, hadith, philosophy, high human judgment and lofty morals.The researcher will try to shed light on the personality of Imam Jawad (peace be upon him) and its role in the field of study and education by addressing the methods and teaching methods that he followed in his speech, judgment and debates, The research included an introduction and tow researchers:

1-The first topic dealt with the definition of pervasive questions in terms of: the concept of probing questions, linguistically and idiomatically, and their types, characteristics, advantages. And objectives, Its effectiveness in education and the conditions for use.

2-The second topic dealt with the employment of the probing questions of Imam Al- Jawad (peace be upon him) in his debates, then the research ended with a conclusion with a number conclusions and recommendations.

Key words: Imam Muhammad al-Jawad (peace be upon him), divine attributes, prophetic attributes, educational methods, jurisprudence, hadith and philosophy.

المبحث الأول

التعريف بالأسئلة السابرة

أسلوب الأسئلة السابرة:

ينظر إلى السؤال في العملية التعليمية على انه من المثيرات والمحفزات المهمة في عملية التعلم، فالسؤال يستثير تفكير الأفراد على اختلاف مستوياتهم العلمية والعقلية والاجتماعية، وعلى اختلاف مواقع عملهم ومسؤولياتهم، وله أهمية بالغة بالنسبة لعملية التعليم لإسهامها في تحقيق الأهداف التعليمية، إذ إنه يحول الطالب من متلقٍ للمعلومات إلى عضوٍ تعليمي فاعل ونشط له وجود في غرفة الصف.

الأسلوب لغة:

(الأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ يقال: أنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ ويُجمَعُ أَساليبَ، والأُسْلُوبُ الطريقُ تأْخذ فيه، والأُسْلوبُ بالضم الفَنُّ يقال: أَخَذ فلانٌ في أَساليبَ من القول أَي أَفانِينَ منه)[١]

الأسلوب اصطلاحاً:

(هو مجموعة قواعد أو ضوابط أو كيفيات ينفذ بها المدرس طريقة التدريس لتحقيق أهداف الدرس، ويشمل ما يوظفه المدرس من أجل توظيف طريقة التدريس بفعالية تميزه من غيره من المدرسين، فهو يرتبط بالمدرس وسماته الشخصية).[٢]

السبر لغة:

(السَّبْرُ: التَّجْرِبَةُ، وسَبَرَ الشيءَ سَبْراً: حَزَره وخَبَرهُ، والسَّبْر اسْتِخْراجُ كُنْهِ الأَمر، والسَّبْر مَصْدَرُ سَبَرَ الجُرْحَ يَسْبُرُه ويَسْبِرُه سَبْراً نَظَر مِقْدارَه وقاسَه؛ لِيَعْرِفَ غَوْرَه ومَسْبُرَتُهُ نِهايَتُه).[٣]

الأسئلة السابرة اصطلاحاً:

عرفت الأسئلة السابرة تعريفات عدة سنورد منها اثنين:

١- **عرفها الخليلي وآخرون (١٩٩٦) بأنها:** (سلسلة من الأسئلة تعقب إجابة الطالب الأولية، لكون الإجابة سطحية أو غير صحيحة أو تحتاج إلى توضيح، وتؤدي هذه الأسئلة إلى توليد المزيد من المعلومات أو لتوضيح بعضها، أو التركيز على البعض الآخر أو إرجاع المناقشة لعامة الطلاب في حجرة الصف).[٤]

٢- **عرفها قطامي والشديفات (٢٠٠٤) بأنها:** (السؤال الذي يلي إجابة الطالب الأولية، ويتم بتقديم أسئلة إلى الطالب ذات صياغة جديدة، أو ذات إشارات جديدة، بقصد توجيهه نحو الإجابة الصحيحة أو تحسين مستوى إجابته)[٥].

يتضح من التعريفين السابقين أن الأسئلة السابرة أسئلة معمقة تسبر أعماق خبرات الطلبة وفهمهم وتفكيرهم وتساعدهم على تشخيص الفجوات في خبراتهم من خلال نوع الإجابة التي يقدمها الطالب للتركيز على الجزء المبهم أو الناقص أو الخاطئ منها، بقصد توضيح المبهم، وإكمال الناقص، وتصحيح الخاطئ كل ذلك من أجل إيصال الطالب إلى الإجابة الكاملة الأكثر صحة ودقة.

ففي كثير من المواقف والمناقشات الصفية يوجه المعلم سؤالا لأحد المتعلمين فيجيب المتعلم إجابة أولية عن السؤال قد تكون هذه الإجابة خاطئة أو ناقصة أو جزئية وفي أحيان أخرى يشعر المعلم أن المتعلم غير متأكد من إجابته وفي هذه الحالة يحتاج المعلم إلى أن يوجه للمتعلم نفسه سؤالا أو أسئلة أخرى للكشف عن معرفته واستدعاء معلوماته السابقة بهدف مساعدته على تصحيح الإجابة أو إكمالها أو تأكيدها.

- **أنواع الأسئلة السابرة:** تنقسم الأسئلة السابرة من حيث غاياتها على أقسام منها:

١. الأسئلة السابرة التشجيعية:

(هي مجموعة متتابعة من الأسئلة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما تكون إجابته عن السؤال خاطئة أو عندما لا يتمكن من الإجابة. وتمثل الأسئلة السابرة التشجيعية تلميحات أو إشارات تستدعي معلومات المتعلم السابقة، وتقوده نحو الإجابة الصحيحة عن السؤال)[٦].

مثال تطبيقي:

المعلم: ما مفهوم التقوى؟

الطالب: لا أعرف.

المعلم: هل شاهدت أو سمعت رجلاً يسرق؟

الطالب: نعم.

المعلم: هل تتمنى أن تكون مثله؟

الطالب: لا.

المعلم: لماذا؟

الطالب: خوفاً من الله تعالى.

المعلم: ولماذا تخاف الله تعالى؟

الطالب: لأن الله أمرنا بعدم السرقة.

المعلم: إذن ما التقوى؟

الطالب: خشية الله والالتزام بأوامره.

المعلم: أحسنت، إذن التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل[٧].

٢. الأسئلة السابرة التوضيحية:

(هي مجموعة من الأسئلة المتتابعة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما يعطي إجابة أولية ناقصة عن السؤال، وتهدف هذه الأسئلة إلى تعزيز الجزء الصحيح من الإجابة وتوجيه المتعلم إلى استكمال إجابته بإضافة معلومات توضيحية جديدة للمعلومات الأولية التي ذكرها في إجابته عن السؤال)[٨].

مثال تطبيقي:

المعلم: ما أثر مفهوم أسم الله الرزاق في حياة المسلم؟

الطالب: يجعل المسلم يوقن بأن الرزق كله بيد الله تعالى.

المعلم: لماذا يجب أن يوقن المسلم أن الرزق بيد الله تعالى؟

الطالب: ليتحرر من المخاوف.

المعلم: ما المخاوف التي يحررها الإيمان باسم الله الرزاق؟

الطالب: يحرره من الخوف على رزقه.

المعلم: كيف يتحرر من الخوف على رزقه؟

الطالب: يوقن إن الرزق بيد الله فلا زيادة أو نقصان فيه إلا بأمر الله تعالى.

المعلم: وماذا يترتب على الإنسان حينئذ؟

الطالب: يبذل الجهد في السعي ويتوكل على الله حق التوكل وبذلك يريح قلبه وعقله من التفكر في الرزق.

المعلم: أحسنت.[٩]

٣. الأسئلة السابرة التركيزية:

(هي مجموعة متتابعة من الأسئلة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما تكون إجابته الأولية عن السؤال صحيحة، وتهدف هذه الأسئلة إلى تأكيد الإجابة الصحيحة وربط جزئيات مختلفة للخروج بتعميم مشترك)[١٠].

مثال تطبيقي:

المعلم: كيف عالج الإسلام مشكلة البطالة؟

الطالب: أوجب العمل على القادرين.

طالب آخر: أوجب تكافؤ فرص العمل للجميع.

طالب آخر: ضرورة الالتزام بأحكام النفقات.

طالب آخر: يجب تطبيق أحكام الميراث.

المعلم: ما هي أفضل هذه السبل لمعالجة البطالة؟ [١١]

٤. الأسئلة السابرة التبريرية:

(هي مجموعة من الأسئلة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما يعطي إجابته الأولية عن السؤال ويشعر المعلم أن المتعلم غير متأكد من إجابته أو أنه لا تتوافر لديه المعلومات الواضحة عن السؤال المطروح، فيقوم المعلم بتوجيه سؤال آخر للمتعلم ليقدم مبررات لإجابته، وبذلك يكشف ما إذا كانت إجابة المتعلم ناتجة عن وعي وفهم صحيح للمعلومات، أم أنها ناتجة عن فهم خاطئ فيقوم بتأكيد الفهم الصحيح وتعزيزه وتصحيح الفهم الخاطئ)[١٢].

مثال تطبيقي:

المعلم: من هم أُلو العزم من الرسل؟

الطالب: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد (عليهم الصلاة والسلام).

المعلم: لماذا سُمي هؤلاء الرسل بأولي العزم؟

الطالب: لأنهم أكثر الأنبياء والرسل صبراً على أقوامهم في الدعوة إلى الله تعالى[١٣].

- **صفات السؤال السابر:** تتصف الأسئلة السابرة بصافات عامة يمكن أن نذكر منها الآتي:

١- سؤال يلي إجابة الطالب الأولية.

٢- يثير النقاش البناء داخل غرفة الصف.

٣- يهدف إلى استخراج المزيد من الإجابات خاصة عندما تكون إجابة الطلاب غير صحيحة أو غير ناضجة أو سطحية[١٤].

٤- سؤال يعتمد فيه على تدقيق الأفكار وتمحيصها من أجل الوصول إلى الفكرة الرئيسية.

٥- يحتاج إلى مدرس ملم بمادته ومتحسب إلى إجابات متنوعة من الطلبة.

٦- سؤال يصاغ بطريقة استقصائية تثير اهتمام المتعلم بالتدرج من إجابته الأولية إلى إجابة أعمق منها [١٥].

- **فوائد الأسئلة السابرة في التعليم:**

١- تساعد المتعلم في اتخاذ موقف ناقد لإجابته وإجابة الطلبة السطحية والضعيفة.

٢- تجعل المتعلم يتريث في الابتداء بالإجابة على السؤال.

٣- تنمي قدرة المتعلم على التقويم الذاتي لإجابته وإجابة الآخرين.

٤- تجعل المتعلم هدف العملية التعليمية والمعلم هو المرشد والموجه.

٥- تجعل البيئة الصفية نشطة تخلو من الملل والروتين المعتاد.

٦- تعزز ثقة الطالب بنفسه من حيث مشاركته للطلبة في الوصول إلى الإجابة الصحيحة.

٧- تشعر المتعلم بقيمة إجابته وثقافته التي ساهمت في الوصول إلى الإجابة الصحيحة.

٨- تنمي مهارة التفكير عند المتعلم والتركيز في الإجابة[١٦].

- **فاعلية الأسئلة السابرة في التعليم**

أثبتت العديد من الدراسات التي أجريت في العراق فاعلية الأسئلة السابرة في التعليم، إذ استخدمت هذه الدراسات الأسئلة السابرة كمتغير تجريبي لقياس أثره في المتغير التابع فكانت نتائج الطلبة تشير إلى تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا بأسلوب الأسئلة السابرة على طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا على وفق الطريقة الاعتيادية، ومن هذه الدراسات:

١- دراسة الطراونة (١٩٩٨) الموسومة بـ (أثر استعمال الأسئلة المتشعبة والأسئلة السابرة في تحصيل طلاب الصف الأول الثانوي في مادة تاريخ الأدب والنصوص).

٢- دراسة عزيز (٢٠٠٠) الموسومة بـ (أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل المفاهيم العلمية لدى طالبات الصف الأول معهد إعداد المعلمات).

٣- دراسة حسن (٢٠٠٥) الموسومة بـ (فاعلية الأسئلة السابرة التوضيحية في التحصيل النوعي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة علم الأحياء).

٤- دراسة الخفاجي (٢٠٠٩) الموسومة بـ (أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل طلاب الصف الرابع الإعدادي في مادة القواعد).

- **أهداف الأسئلة السابرة**

إن للأسئلة السابرة أهدافا عدة نذكر منها:

١- التوضيح: بمعنى أن يتابع المعلم حوار الطالب بعد تلقي الإجابة الأولية منه بصيغ معينة من الأسئلة التي تحمل الطالب على توضيح إجابته الأولى.

٢- نقد الإجابة أو تعديلها: يفترض أن الطالب لديه القدرة على تعديل إجابته أو نقدها فدور المعلم مساعدته بالأسئلة السابرة التي تكشف عن المراد.

٣- المتابعة: بمعنى أن يحث المعلم الطالب على متابعة الفكرة وتطويرها.

٤-التركيز وتحديد المعنى:ولهذه الغاية يطرح المعلم أسئلة تساعد الطالب على إعطاء إجابة أكثر تفصيلاً ودقة.

٥- تقديم الأدلة وتدعيم الإجابات: وهنا يطلب المعلم من الطالب أن يقدم أدلة على إجابته، يسوغها ويدعمها.

٦- تحديد العلاقات بين الأشياء: وفي هذا الموقف يطرح المعلم أسئلة سابرة تساعد الطالب على إدراك العلاقات بين عناصر الفكرة أو مكوناتها عن طريق ملاحظة الأسباب والربط بالنتائج أو إدراك العلاقات المناسبة، فضلاً عن ذلك تعمل الأسئلة السابرة على إغناء النقاش والتفاعل الصفي ويمكن أن يستعملها المعلم في تحقيق أهداف الدرس(١٧).

- **شروط استعمال الأسئلة السابرة في التعليم**

يتطلب التدريس باستعمال الأسئلة السابرة، الإعداد الجيد والمسبق للأسئلة المتوقع طرحها أو إثارتها في أثناء الدرس، بما يتفق مع طبيعة المادة الدراسية والموقف التعليمي والقدرات النفسية والعقلية للمتعلمين ومن هذه الشروط:

١- إمهال الطالب بما لا يقل عن خمس ثوان بعد طرح السؤال، كي يتبصر بإجابته

الأولى ومن ثم تحسينها أو تعديلها.

٢- تزويد الطالب بتغذية راجعة فورية قد تكون لفظية أو على شكل إشارات.

٣- الرضا بالتقدم البطيء الذي يحققه الطلاب في الإجابة عن الأسئلة المطروحة ولا سيما الطلاب بطيئو التعلم.

٤- عدم إحراج الطالب الذي يخفق في تقديم الإجابة الصحيحة، وإعطائه الوقت الكافي للتفكير، قبل تحويل السؤال إلى متعلم آخر، ودونما تأنيب أو تجريح.

٥- فهم إجابة الطالب وعدم رفضها بشكل تعسفي مما يزعزع ثقة الطالب بنفسه ويسبب الإرباك لبقية الطلاب ويهدر الوقت.

٦- عدم الإطالة مع الطالب صاحب الإجابة الأولية منعاً لإرباكه أو إحراجه، وحجب الملل والتشتت عن بقية الطلاب[١٨].

وفي ختام هذا المبحث نود أن نقول إن استعمال الأسئلة السابرة في التعليم يتطلب من المعلم إتقان مجموعة من المهارات الأساسية التي تعينه على كيفية التعامل مع إجابات الطلبة للغور فيها وصولا للإجابة الصحيحة ومن هذه المهارات: الكفاءة العلمية العالية، ضبط الوقت، الطلاقة في استعمال الأسئلة، القيادة الديمقراطية العادلة وإتقان مهارات التواصل.

المبحث الثاني

الأسئلة السابرة في فكر الإمام محمد ابن علي الجواد عليه السلام

لا أحسب أن هناك فذاً من أفذاذ العقل الإنساني من يضارع الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام في مواهبه وعبقرياته التي امتدّت مع الزمن وسرت موجاتها لتطوير الفكر الإنساني وتنمية الوعي الديني والاجتماعي والسياسي لجميع شعوب الأرض.لقد فجر هذا العملاق العظيم ينابيع العلم والحكمة في الشرق، وأسس في دنيا العرب من العلوم ما يزيد على ثلاثين علماً حسبما أحصاها العقاد لم يعهدها ولم يعرفها الناس من قبل، مضافاً إلى آرائه المشرقة في مختلف مجالات الحياة.إن الطاقات العلمية الهائلة التي بثّ بعضها الإمام عليه السلام قد ساهمت مساهمة ايجابية في صنع الحضارة الإنسانية، وبلورة الفكر الاجتماعي، وهي بجميع أبعادها ستبقى أعظم رصيد يملكه المسلمون ويفخرون به على أمم العالم

وشعوب الأرض.والمرء منذ وجوده يسعى إلى أن لا يترك أبنائه دون وعظ ونصح وتعليم وإرشاد، وكان الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام تواقاً إلى ذلك فيما نقل عنه من نصوص كثيرة اعتمدها الفلاسفة، وعلماء التربية والتعليم وجعلوها نبراساً يستضاء به وحملوها محمل الجد فيما أقروه، إذ حظيت العلوم التي نبه لها في أقواله وما اقره في أفعاله بكثير من الاهتمام من لدن علماء التربية والتعليم. وفي هذا البحث سنتناول أسلوبا تربويا استعمله الإمام الجواد عليه السلام وهو أسلوب الأسئلة السابرة. ومن الجدير بالذكر إن أول من استعمل أسلوب الأسئلة السابرة في العصر الحديث هو العالم المعرفي جان بياجيه وقد جاء اهتمامه به للكشف عن المرحلة النمائية التطورية للطفل. وحتى يتمكن بياجيه من تحديد المرحلة التي يمر بها الطفل كان لا بد له من سبر أعماق كل إجابة يصدرها، لذلك كانت أسئلته متعمقة وسابرة لأعماق الطفل حتى يحدد المرحلة التي يقف فيها وقد ساعدته هذه الأسئلة على تحديد خصائص المرحلة الذهنية، وخصائص تفكير الأطفال منذ الولادة وحتى سن الخامسة والسادسة عشرة.[١٩] والحق أن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام قد سبق هذا العالم بمئات السنين في استعمال أسلوب الأسئلة والحوار كأسلوب تعليمي فعال يؤدي إلى توليد الأفكار ونموها نمواً سليماً.

مناظرة الإمام الجواد عليه السلام في مجلس المأمون:

لما عارض العباسيون زواج الإمام الجواد عليه السلام من ابنة المأمون، قائلين له: "إنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك". فقال لهم المأمون: ويحكم! إني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل بيت علمهم من الله، ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر عليه السلام بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله.

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شئ من فقه الشريعة، فإن أصاب الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي الملك، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه. فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم. فخرجوا من عنده، واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم، وهو قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها،

ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوما للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك، فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، فأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست - وسادة - ويجعل له فيه مسورتان - متكأ من أدم -، ففعل ذلك. وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام قال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا ملك! أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك. فأقبل عليه يحيى بن أكثم، فقال: أتأذن لي جعلت فداك، في مسألة؟ قال له أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت. قال يحيى: ما تقول جعلني الله فداك، في محرم قتل صيدا؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام: قتله في حل أو حرم؟ عالما كان المحرم أم جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ حرا كان المحرم أم عبدا؟ صغيرا كان أم كبيرا؟ مبتدئا بالقتل أم معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم من كباره؟ مصرا على ما فعل أو نادما؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهارا؟ محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرما؟ فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج - تردد في الكلام - حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي. ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أ عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثم أقبل على أبي جعفر، فقال له: أ تخطب يا أبا جعفر!؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين! فقال له المأمون: اخطب جعلت فداك لنفسك! فقد رضيتك لنفسي، وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي، وإن رغم قوم لذلك. فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقرارا بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصا لوحدانيته، وصلى الله على محمد سيد بريته، والأصفياء من عترته. أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٠]، ثم إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليها السلام وهو خمسمائة درهم جيادا، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟ قال

المأمون: نعم! قد زوجتك يا أبا جعفر! ابنتي على هذا الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: قد قبلت ذلك، ورضيت به. فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة. قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتا تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من الفضة مشدودة بالحبال من الأبريسم على عجل مملوة من الغالية، فأمر المأمون أن يخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية، ثم مدت إلى دار العامة، فطيبوا منها، ووضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: إن رأيت جعلت فداك! أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم! إن المحرم إذا قتل صيدا في الحل، وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها، فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا. فإذا قتل فرخا في الحل، فعليه حمل قد فطم من اللبن. وإذا قتله في الحرم، فعليه الحمل، وقيمة الفرخ. وإن كان من الوحش، وكان حمار وحش، فعليه بقرة. وإن كان نعامة، فعليه بدنة. وإن كان ظبيا، فعليه شاة. فإن قتل شيئا من ذلك في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفا، هديا بالغ الكعبة. وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه بالحج، نحره بمنى. وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة. وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ. والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة. فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر! أحسن الله إليك!

فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟ فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك إليك جعلت فداك! فإن عرفت جواب ما تسألني عنه، وإلا استفدته منك. فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن رجل: نظر إلى امرأة في أول النهار، فكان نظره إليها حراما عليه. فلما ارتفع النهار، حلت له. فلما زالت الشمس، حرمت عليه. فلما كان وقت العصر، حلت له. فلما غربت الشمس، حرمت عليه. فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة، حلت له. فلما كان انتصاف الليل، حرمت عليه. فلما طلع الفجر، حلت له. ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه؟ فقال له يحيى بن أكثم: والله! ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار، فكان نظره إليها حراما عليه. فلما ارتفع النهار، ابتاعها من مولاها، فحلت له. فلما كان عند الظهر، أعتقها، فحرمت عليه. فلما كان وقت العصر، تزوجها، فحلت له. فلما كان وقت المغرب، ظاهر منها، فحرمت عليه. فلما كان وقت العشاء الآخرة، كفر عن الظهار، فحلت له. فلما كان في نصف الليل، طلقها واحدة، فحرمت عليه. فلما كان عند الفجر، راجعها، فحلت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته، فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن المسألة بمثل هذا الجواب، أو يطرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله! إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى. فقال لهم: ويحكم! إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال. أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحدا في سنه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنا دون ست سنين، ولم يبايع صبيا غيرهما، أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية طيبة بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم. قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين! ثم نهض القوم. فلما كان من الغد، حضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السلام، وصار القواد والحجاب والخاصة والعامة لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران، معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة، وعطايا سنية وإقطاعات- اسم لما لا ينقل من المال كالقرى والأراضي والأبراج والحصون-. فأمر المأمون بنثرها على القوم في خاصته، فكان كل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق له، ووضعت البُدُر- الأطباق -، فنثر ما فيها على القواد وغيرهم، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا[٢١].

يرى الباحث إن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ومن خلال مجموعة من الأسئلة السابرة التركيزة قد فند وصحح الفهم الخاطئ لما كان يسمى بانه فقيه الامة او قاضي القضاة في زمن المامون ومن خلاله لعوام الناس بأن اهل البيت عليهم السلام هم اعلم الناس من خلال مجموعة من الأسئلة السابرة ومنها:

قتله في حل أو حرم؟

عالما كان المحرم أم جاهلا؟

قتله عمدا أو خطأ؟

حرا كان المحرم أم عبدا؟

صغيرا كان أم كبيرا؟ مبتدئا بالقتل أم معيدا؟

من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟

من صغار الصيد كان أم من كباره؟

مصرا على ما فعل أو نادما؟

في الليل كان قتله للصيد أم نهارا؟

محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرما؟

أخبرني عن رجل: نظر إلى امرأة في أول النهار، فكان نظره إليها حراما عليه

فلما ارتفع النهار، حلت له.

فلما زالت الشمس، حرمت عليه.

فلما كان وقت العصر، حلت له.

فلما غربت الشمس، حرمت عليه.

فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة، حلت له.

فلما كان انتصاف الليل، حرمت عليه.

فلما طلع الفجر، حلت له.

ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه؟

فقد انبرى الامام من خلال سيل من الاسئلة السابرة التركيزية ليعرف الناس مايحمله هذه الرجل في كنه من علم ومدى جهله بالشريعة.

فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج - تردد في الكلام - حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

من خلال ما تقدم يرى الباحث أن ما جاءت به الدراسات الحديثة فيما يرتبط بالأسئلة السابرة من حيث أنواعها، وأهميتها، وفائدتها، وشروطها، ومواصفاتها كانت امتداد لما جاء به الإمام علي بن موسى الجواد عليه السلام، إلا أن المحدثين بوبوا هذه المفاهيم، ووضعوا لها خطوات عملية أصبحت واضحة للعيان، ووضعوا لها مسميات تميزها عن أنواع الأسئلة الأخرى

الخاتمة:

إلى هنا نأمل أن نكون قد أوضحت أسلوبا تربويا استعمله الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام هذا الأسلوب الذي كان له الأثر البالغ في التوصل إلى الحقيقة وإفحام الخصم، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا البحث جاء اسهامة متواضعة للتواصل مع ماضي الأمة المشرق بما يثبت أن التربية في الإسلام وفي فكر أهل البيت عليهم السلام ما زالت وستبقى قادرة على العطاء في ظل ما يواجه الإسلام اليوم في العالم من ظاهرة الاستلاب الحضاري ومحاولة محو الطابع الإسلامي وتراثه الذي حافظ عليه المسلمون عبر القرون فضلاً عن محو الثقافة الإسلامية بكل مقوماتها المادية والمعنوية وتدمير العقيدة، واقتلاع الأجيال من أصولها وإذابتها في المجتمع المادي الذي لا همَّ له سوى الدنيا، فقد أوهموا الكثير من شبابنا وبعض مثقفينا بأننا أمة من دون فكرٍ تربوي، من دون آراء في التربية وعلم النفس، ويرجع هذا الفشل في جزءٍ منه إلى قلة وجود خبراء شالتربية الذين يجمعون بين الفكر الإسلامي العميق والمعرفة الشاملة لاتجاهات الفكر التربوي العالمي المعاصر ومشكلاته، بحيث يمكنهم أن يضعوا الحلول المناسبة لمشكلاتنا التربوية المعاصرة وإيجاد النظام التربوي الإسلامي القادر على بعث الأُمة الإسلامية من جديد.

وفي ضوء ما تقدم استنتج الباحث الآتي:

١- إن أسلوب الأسئلة السابرة التي أتت به المدارس التربوية الحديثة مستوحى من نتاج مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام الذين كانت لهم وما تزال الريادة في مجال التربية والتعليم.

٢- كانت أسئلة الإمام عليه السلام السابرة منذ ذلك الحين متطابقة مع مفاهيمها التي نادت بها الدراسات الحديثة من حيث: الأنواع، والشروط، والفوائد وغيرها.

٣- إن استعمال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام لهذا الأسلوب مع المعاندين والمخالفين ليس لبيان الحقيقة فحسب، بل جعلهم يؤمنون بها.

ويوصى الباحث بالآتي:

١- الاهتمام بالتراث الإسلامي اهتماما يليق به من خلال قيام المؤسسات التعليمية بحث الطلبة على البحث في هذا المجال وربطه بالحاضر عن طريق دراسات مقارنه بين ما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام من دور حضاري وبين منظري وعلماء الغرب وتأثيرهم الفكري.

٢- قيام وزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي بعقد الندوات والدورات والمحاضرات التثقيفية لتوضيح أهمية التراث العربي الإسلامي، وبيان دور أئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام في تطوير الحضارة العربية الإسلامية.

٣- حث طلبة المراحل المنتهية في الكليات التي تعنى بإعداد مدرسي التربية الإسلامية ومدرساتها على إعداد بحوث التخرج ضمن إطار تأصيل الطرائق والأساليب التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية وأئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام محمد بن علي الجواد الرضا عليه السلام في التربية والتعليم والتأديب.

هوامش البحث

(١) لسان العرب: ابن منظور (سلب): ٤٧٤/١

(٢) الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال: محسن علي عطية/٢٩

(٣) لسان العرب (سبر): مصدر سابق:٣٤١/٤

(٤) تدريس العلوم في مراحل التعليم العام: خليل يوسف الخليلي، وآخرون /٢٥٧

(٥) أسئلة التفكير الابداعي: يوسف قطامي، ورياض الشديفات:١٧٤

(٦) التدريس الفعال(تخطيطه – مهاراته – استراتيجياته – تقويمه): عفت مصطفى الطناوي: ١١٥
(٧) استراتيجيات التدريس: شاهر ذيب أبو شريخ/١٤١
(٨) التدريس الفعال(تخطيطه – مهاراته – استراتيجياته – تقويمه) مصدر سابق:١١٦
(٩) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٤١-١٤٢
(١٠) التدريس الفعال(تخطيطه – مهاراته – استراتيجياته – تقويمه) مصدر سابق: ١١٦
(١١) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٤٣
(١٢) التدريس الفعال(تخطيطه – مهاراته – استراتيجياته – تقويمه) مصدر سابق: ١١٧
(١٣) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٤٣
(١٤) أثر استعمال الأسئلة المتشعبة والأسئلة السابرة في تحصيل طلبة الصف الأول الثانوي في مادة تاريخ الأدب والنصوص: محمد عبد الكريم نافع الطراونة: ٦٤
(١٥) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٣٨
(١٦) المصدر نفسه/١٣٩
(١٧) فاعلية الأسئلة السابرة التوضيحية في التحصيل النوعي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة علم الأحياء: مصطفى زهير حسن: ٢١
(١٨) طرق التدريس العامة: علي خير العصري، ويوسف العنيزي:١٤٠ – ١٤١
(١٩) أسئلة التفكير الابداعي: مصدر سابق /١٧٤
(٢٠) سورة النور آية ٣٢
(٢١) بحار الانوار: المجلسي: ج ٥٠: ٧٤ ـ ٧٩

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.

٢. أبو شريخ، شاهر ذيب. استراتيجيات التدريس، ط١، المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.

٣. حسن، مصطفى زهير. فاعلية الأسئلة السابرة التوضيحية في التحصيل النوعي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة علم الأحياء، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٥م.

٤. الحصري، علي خير، ويوسف العنيزي. طرق التدريس العامة، مكتبة الفلاح، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م.

٥. الخفاجي، قصي شهاب أحمد. أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل طلاب الصف الرابع الإعدادي في مادة القواعد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ٢٠٠٩م.

٦. الخليلي، خليل يوسف، وآخرون. تدريس العلوم في مراحل التعليم العام، دار العلم للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٦م.

٧. الطراونة، محمد عبد الكريم نافع. أثر استعمال الأسئلة المتشعبة والأسئلة السابرة في تحصيل طلبة الصف الأول الثانوي في مادة تاريخ الأدب والنصوص، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

٨. الطناوي، عفت مصطفى. التدريس الفعال(تخطيطه – مهاراته – استراتيجياته – تقويمه) ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٩م.

٩. عزيز، ايمان مجيد. أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل المفاهيم العلمية لدى طالبات الصف الأول معهد إعداد المعلمات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية المعلمين، جامعة ديالى، ٢٠٠٢م.

١٠. عطية، محسن علي. الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨ م.

١١. قطامي، يوسف، ورياض الشديفات. أسئلة التفكير الابداعي، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٩م.

١٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.